

فنّ المقامة عند الحريري بين جمالية المتن السّردّي وتجلّيات الخطاب الديني الإصلاحي

Title: The Art of Resistance in Al-Hariri's Maqamat between the
Aesthetics of Narrative Text and the Dimensions of Reformist Religious
Discourse



د/فايزة سعيدات *

جامعة أبو بكر بلقايد تلمسان (الجزائر)

fayza.saidat@univ-tlemcen.dz

تاريخ الاستلام: 2026/02/21 تاريخ القبول 2026/05/24 تاريخ النشر 2026/06/08



ملخص:

يعدّ السّرد الحكائي من أبرز الأدوات التّعبيرية قدرة على نقل تجارب المجتمعات وخبراتها، ومواكبة تطورها في مناح شتى منذ القدم ولاشكّ أنّ فنّ المقامة هو أحد أهمّ الفنون الأدبية التي لقيت رواجا في تراثنا العربي ولاسيّما في العصر العباسي لمزاوجتها بين الصّنع اللفظية والنقد الاجتماعي السّاخر من وجهة ، وقدرتها على توثيق حياة الناس ووصف طباعهم من وجهة أخرى فضلا عن قدرتها على مساهمة التجربة الإنسانية بمختلف تجلياتها .

وبما أنّ الدين يؤدّي وظيفة مهمة في تنظيم حياة الأفراد وإصلاح المجتمعات فقد ارتأينا أن نتخذ موضوعا لدراستنا التي قصرناها على فنّ المقامة عند الحريري الذي يعتبر أحد أبرز الأدباء فقد استطاع أن يصوّر الأحداث اليومية التي التقطها من بيئته بعفوية، ووثّق تفاصيلها في مقاماته البديعة التي نالت شهرة واسعة بين القراء والدارسين؛ إذ جمعت بين جودة الصياغة ، وروعة المتن السّردّي ناهيك عن وظيفتها الحيويّة بفضل مضامينها

* المؤلف المراسل

الأخلاقية والتربوية وسيكون هدفنا هو الكشف عن مميزات الخطاب الدّيني الإصلاحي في مقامات الحريري .

الكلمات المفتاحية: المقامة، الحريري، جمالية، المتن السّردى، الخطاب، الدين،

الإصلاح

Abstract:

Narrative storytelling is one of the most prominent expressive tools capable of conveying societies' experiences and realities. It has developed throughout history in various forms, and since ancient times the maqama has remained one of the most significant literary genres in our Arabic heritage. It oscillates between refined artistry and social criticism on the one hand, and the documentation and portrayal of people's lives on the other, thus serving as a faithful mirror of human experience in its diverse manifestations.

Since religion performs a crucial function in regulating individuals' conduct and reforming societies, it has often taken a moral and educational direction. Our study sheds light on the Maqamat of Al-Hariri, one of the most prominent Abbasid writers, known for his mastery of eloquence. He succeeded in depicting daily events drawn from his social environment and presented them within his brilliantly crafted maqamat, which gained widespread recognition among scholars and intellectuals. His work combines stylistic excellence and the unity of the narrative text with a clear commitment to its reformist purpose. Through its ethical and pedagogical implications, it reveals the dimensions of reformist religious discourse embodied in Al-Hariri's Maqamat, making them a distinctive literary model.

key words: Al-Hariri's Maqamat; Aesthetics; Narrative Text; Religious Discourse; Reform.

مقدّمة:

يعدّ فن المقامة أحد أهمّ الفنون الأدبية التي لقيت رواجاً منذ العصر العباسي وجذبت اهتمام الأدباء على مرّ العصور لمزاوجتها بين الصّنع اللغوية والنقد الاجتماعي السّاخر من وجهة ، وقدرتها على توثيق حياة الناس ووصف طباعهم من وجهة أخرى فضلاً عن وظيفتها التربوية الأخلاقية ، ويعدّ الحريري أحد أبرز الأدباء الذين استطاعوا أن

يصوّروا الأحداث والوقائع اليومية التي التقطها بعفوية ووثّق تفاصيلها في مقاماته البديعة وما يهمنا هو تمثّلات البعد الديني في مقاماته نظرا لأهميته الأخلاقية والتربوية وهو ما يتقاطع مع دور هذا الفن ووظيفته الاجتماعية والثقافية.

وسنحاول في هذا البحث الإجابة عن إشكالية مفادها: إلى أي مدى استطاع الحريري أن يوفّق بين جمالية المتن السّردّي، وتمرير الخطاب الديني الإصلاحي في مقاماته الأدبية؟ وتنضوي تحتها العديد من التساؤلات من أبرزها: ماهي الإضافة التي قدمتها مقامات الحريري إلى ميدان الأدب العربي؟ وماهي السّمات الفنية التي طبعتها؟ وماهي التقنيات التي اعتمدها لتمرير خطابه؟

وقد اتبعنا في بحثنا المنهج الوصفي فضلا عن أدوات التحليل لاستخراج تمثّلات البعد الديني في مقامات الحريري والسّمات الفنية التي طبعت خطاب هذا العمل الأدبي الخالد وميّزته عن سواه، كما استندنا على المنهج التاريخي عند التعريف بالمؤلّف ومراحل نشأة هذا الفن الأدبي.

نسعى في هذا الموضوع إلى التّأكيد على أهميّة الأدب في ترسيخ القيم الدينية في نفوس المتلقين والكشف عن التقنيات التي اعتمدها الحريري لتمريره خطابه والكشف عن أهمّ المضامين التي ركّز عليها وحاول معالجتها في مصنّفه مع إبراز أهمّ السّمات الفنية التي طبعت عمله.

المبحث الأول : توظيف الدّين في الأدب العربي

لقد تفتّن الأدباء إلى أهمية السّرد الحكائي في التّعبير عن آرائهم، ونقل تجارب المجتمعات وخبراتها، ومواكبة تطورها في مناح شتى منذ القدم وبما أنّ الدين هو عماد حياة المسلمين والخيطة الذي يصلهم بالخالق (عزّ وجلّ)، فمن البديهي أن يكون على رأس اهتماماتهم وبما أنّ مقامات الحريري هي موضوع بحثنا فإنّ المنهج العلمي يفرض علينا توضيح العلاقة بين الأدب والدين باعتبارها فنا أدبيا، وكذا تقديم ترجمة للكاتب ولحمة

مقتضبة عن كتابه لفهم الخلفية الفكرية للنص وتوضيح السّياق التاريخي والثقافي للعمل الفني.

المطلب الأول: علاقة الأدب بالدين

إنّ العلاقة التي تجمع الأدب بالمجتمع هي علاقة وطيدة يسودها التأثير المتبادل؛ إذ يمدّ الكتاب والشعراء بموضوعات مختلفة، ويضبط قوانين الكتابة مثلما حدث في صدر الإسلام؛ إذ أحدث نقلة نوعية أدت إلى ظهور أغراض شعرية واضمحلال أخرى كما أمّد الأدباء والشعراء بالصور والأخيلة فضلا عن إغنائه لقاموسهم الشعري بفضل الألفاظ التي استقوها من النصوص النقلية، ويعدّ الأدب وسيلة فعالة لتقويم السلوك وحظّ العباد على التمسك بتعاليم الإسلام، وتوطينه في نفوس الرّعية فضلا عن الدّعوة إلى مكارم الأخلاق، والتّحلي بالفضيلة بل إنّ الشّعر قد بلغ من القوّة موضعا أن صارت القصيدة تنصّب حاكما، وت عزل الآخر لمقدرة الأدباء على شحن خطابهم بمعان تتوغلّ في لاوعي المتلقّي¹، ولا سيّما إذا أضفى عليه بعدا أسطوريا خارقا أو نسجه بأسلوب قصصي مائع سحر النفوس وحيرّ العقول بفضل مزاجتهم بين الحكمة والموعظة الحسنة.

وفي ميدان النثر كان للسّرديات أهمية كبرى في توجيه الأفراد لقدرتها على جعل العقيدة حيّة في نفوس المسلمين والحفاظ على قيمهم التي تعدّ الحصن المنيع لشخصيتهم²، فهي تعلّمهم كيف يمكن للدين أن يمارس بالشكل الصحيح مستعينين بعناصر السّرد من شخصيات وحبكة وأحداث لما لها من أهمية بالغة في الربط بين الخيال والواقع فضلا عن قدرتها على إثارة المشاعر، فكيف إذا سكبت في قالب فني بديع، وصيغت بعناية من قبل أديب مفوّه كما هو الحال في "مقامات الحريري".

الفرع الثاني: لمحة عن فنّ المقامة في التراث العربي

تعرّف المقامات أنّها أحد الفنون الأدبية النثرية التي تقدّم في قالب سردي خيالي يعبق بالإمتاع الفني والسّخرية اعتمادا على البراعة الأدبية والتشويق في صيغ شتى من التّمويه

والتعمية، والتضليل وفنون البلاغة المختلفة، إذ تتعدّى الشعر في العناية بالمحسنات البديعية وتبنى المقامات على عناصر ثلاثة تتمثّل في: "الراوي" الذي ينقل القصة عن الحيزين المكاني والزمني اللذين وقعت فيهما، و"البطل" وهو المكدي الذي تدور حوله القصة، وتنتهي عادة بانتصار يصنعه وعادة ما يكون معنويا، أمّا "العقدة" أو ما تسمى بالنكتة فهي الواقعة أو القصة التي تحاك حولها المقامة³، ولهذا الفن وظيفة لغوية تعليمية واجتماعية إصلاحية، كما يضمّ جانبا من المتعة والتّسلية بفضل ما يتضمّنه من نكت وألغاز.

ودلّت لفظة المقامة في العصر الجاهلي نادي القبيلة أو مجلسه ومن يتحلّقون فيه، وأصبحت تدلّ في صدر الإسلام على من يقوم بالوعظ بين يدي الخليفة أو غيره، لتدلّ لاحقا على "المحاضرة" وهي إلقاء شخص لخطبة وعظ بديعة بين يدي الناس وغالبا ما يكون من الزّهاد والنّسّاك⁴ بهدف الإرشاد والتّوجيه، وهو ما ألّفناه في القرن الرابع للهجرة في العصر العباسي متجسّدا في المقامات الوعظيّة "لبديع الزمان الهمداني"⁵ التي تعتبر من بواكير ما ألّف في هذا الفن، ويعود له الفضل في تسمية هذا النوع من الأدب، وتعبيد طريقه لمن تبعوه.

وقد كان "الحريري" الذي كان أوسع ثقافة وأقوى صياغة وأحكم تعبيرا فبلغ بفضلله هذا الفن ذروته؛ إذ نسجه نسجا فريدا وظلّ على القمّة بالرغم من المحاولات الكثيرة التي سعت إلى مجاراته⁶ وتطوّر هذا الضّرب من الأدب بعدما كان في الأصل عبارة عن أحاديث وقصص نسجها الأدباء لتهديب الناشئة وتعليمهم أساليب العربية، وتتميّز المقامات في الغالب بالإيجاز في الطرح ضمن قالب سردي شائق يكون فيه الحوار محدودا، وأمّا البطل في فنّ المقامة فعادة ما يكون مفوّها يعتمد التّسوّل والنّصب وسيلة لكسب الرزق⁷، أو قد يتظاهر بمظاهر البؤس والشّقاء طمعا في الشّفقة.

المطلب الثاني: الحريري ومقاماته

قبل الحديث عن مقامات الحريري يفترض بنا تعريف مؤلف الكتاب وتقديم نبذة عن حياته وإسهاماته الأدبية ثم إعطاء لمحة عن مقامات الحريري بالحديث عن أسباب تأليفها، وعددها وتقديم لمحة عن راوي قصصها وبطل أحداثها فضلاً عن وموضوعاتها.

الفرع الأول: التعريف بالحريري

هو أبو محمد القاسم بن علي بن محمد بن عثمان البصري الحرامي الحريري، تلقى العلم في بغداد على يد علي بن فضال المجاشعي، وأبي إسحاق الشيرازي، ومن مؤلفاته: مقاماته التي اشتهر بها، "الملحة"، و"درة الغوّاص في وهم الخواص"، و"ديوانا" في التّرسّل، وكان بخيلاً زريّ اللباس وخضع لنشره ونظمه البلغاء، التي ألفها بطلب من الخليفة المسترشد وتوفّي سنة خمس مئة وعشر، وعمره سبعون عاماً⁸، وأثنى النقاد على مكانته الأدبية المرموقة في عصره، وسعة اطلاعه ومعرفته بالمواد اللّغوية وأنّه نزع نزوعاً دينياً في أدبه لاسيّما مقاماته الأدبية ناهيك عن كونه مرضياً في سلوكه وخلقه⁹.

الفرع الثاني: مقامات الحريري

هي ذلك الفنّ الأدبي مقاماته الذائعة الصيت بالرغم من اعترافه بأفضلية الهمداني وطول باعه في هذا الباب، وأنّه في مصنّفه قد حاول أن يقتفي أثره مع إمكانيّة التقصير فقد لا يدرك الظالغ الضليع¹⁰!، ويقرّ الحريري بأن بديع الزمان الهمداني هو مبتدع هذا الفن وأن أبا فتح الإسكندري هو منشؤها وأن عيسى بن هشام هو الراوي وكلاهما مجهول.

وأما بطل مقامات الحريري فهو "أبو زيد السروجي" الذي قد يكون شخصيّة متخيّلة شأنه شأن أحداث مقاماته بالرغم ممّا ذكره "الذهبي" بأنّه شخصيّة حقيقية تدعى "المطهر بن سلاّر" وهو صديق الحريري وقد كان نحويّاً بارعاً، واستدل على ذلك بما ذكره الأديب في "المقامة الحرامية" التي حكى فيها "السروجي" عن أصله وموطنه¹¹، أمّا شوقي ضيف

قد خالف هذا الرأى واعتبره شخصية خيالية شأنه شأن أغلب أبطال المقامات التي عرفت في تاريخ الأدب العربي¹².

ومهما يكن من أمر "السّروجي" فإنّه بدا في المقامات شيخا فتيق اللسان ذو دعاية ، يمتاز بدهاء وسرعة بديهة، يكسب المال باستجداء الناس حيناً، وخداعهم حيناً آخر ببلاغته معتمدا التّمويه والتّضليل¹³، وهو رجل علم وأدب وفكر، اشتهر بجبروت البيان وعذوبة المنطق، زواج في مخاطباته بين المنظوم والمنثور، اتّخذ من الكدية والنّكتة والاحتيال على النّاس أسلوباً للعيش أملاً في نيل الرحمة، واستلاب المال.

وعادة ما يظهر متخفياً ليعطي رأيه في مسألة من المسائل أو يقدّم موعظة تقوّم السلوك ثم يختفي فجأة بعد أن يسحر الجميع بكلامه ويعلّق نفوس الحاضرين ويتركهم متحرّقين لبعده، وأفرد الكاتب "المقامة الصّوريّة" للتعريف بالسّروجي زواج فيها بين المنظوم والمنثور، ذكر فيها أنّه من سكّان قرية "سروج" ذوي الدّين والنّهى، أغار الرّوم على موطنه أين استباحوا نساء المسلمين ففرّ منهم، وأضحى شريداً يطوف البلاد الإسلامية¹⁴، وذاع صيته بين النّاس فتمتّى الراوي ملاقاته؛ إذ يقول الحريري على لسانه: «وَكُنْتُ لَهُوًى مُلَاقَاتِهِ وَاسْتَحْسَانَ مَقَامَاتِهِ أَرَعَبَ فِي الْاِغْتِرَابِ وَأَسْتَعَذِبُ السَّقَرِ الَّذِي هُوَ قِطْعَةٌ مِنْ الْعَذَابِ»¹⁵ وكان هذا دأبه مع أغلب من لقيه وأينما حلّ وارتحل.

ولم يكتف ذلك المحتال بإبحار "الحارث بن همام" البطل الثانوي في المقامات فحسب بل ترك الانطباع ذاته لدى كلّ من عرفه حتى خاصة القوم من أمراء وقضاة وتجار وغيرهم، فقد حرص في تعامله مع الآخرين يعمد إلى كلّ ما يمكن أن يجعله يكسب تعاطفهم معه من تظاهر بالألم والحرمان لنيل عطاياهم، فتزيّى في أزياء شتى وصوّر متباينة ليخدع ضحاياه فنراه حيناً يلبس ثياباً خرقية، وأسمالاً ليؤثّر في المستمعين حيناً، وقد يظهر في هيئة حسنة ورواء حيناً آخر مع مبالغة ساعده عليها فصاحة اللسان، وإحاطته

بأساليب البيان، وهو في هذا وذاك يعبر عن شخصيات واقعية موجودة في كلّ زمان ومكان.

وأما الراوي فهو "الحارث بن همام" وقد نقلت على لسانه أحداث المقامات جميعها، وورد في هامش مقدّمة الكتاب أنّ اسمه جاء مقتبسا من قوله (صلى الله عليه وسلم): {كُلُّكُمْ حَارِثٌ وَكُلُّكُمْ هُمَامٌ}¹⁶ فالحارث هو المكتسب، والهمام هو كثير الاهتمام¹⁷ وهنا يظهر البعد الديني في اختيار هذا العنصر المهم في أدب المقامة الذي قد تكون له مرجعية ثقافية تحيل إلى شخصيّة المبدع.

يبلغ عدد مقامات الحريري خمسين مقامة تجمع بين الجد والهزل، ربّها ترتيبا زمنيا بحيث روى في "المقامة الصنعائية" قصّة لقاء الحارث بن همام بالسروجي وذكر هياتهما والظروف التي جمعتهما ثم عرض في سائر المقامات إلى سرد الأحداث التي درات بينهما انتهاء "بالمقامة البغدادية" وهي آخر مقامة في الكتاب، وقد بيّن فيها توبة "أبي زيد السروجي" من الكدية والاحتيال على الناس، وملازمته المسجد وكأنه يرمز في ذلك إلى قصة الإنسان في هذه الحياة وأنّ توالي أرقام هذه المقامات هي دورة حياة الإنسان التي تزيد من نضجه حتى إذا بلغ أرذل العمر تاب وأناب إلى الله (عز وجل) وأقرّ بذنوبه فخلع أياّم الطيش والمجون.

وأما عن موطن تأليفه لمقاماته؛ فقد كان في بغداد بالرغم ممّا ذهب إليه البعض من كون "مدينة البصرة" هي الموضع الذي صنف فيه الكتاب ثم عُرضت لاحقا على أدباء بغداد، وكانت في بادئ الأمر أربعين مقامة تداولها الناس وتحداه من حسدوه أن يأتي غيرها فأتى الخمسين مقامة¹⁸، وقد أمضى تسع سنوات في إنشائها ليفرغ منها عام خمس مئة وأربع للهجرة، وكان الدافع لتأليفها ركود سوق هذا الفن في بغداد فقرّر الحريري أن يعيد بعثها بأمر من "الخليفة المستظهر" فأتمّها ونال بفضلها أعلى المراتب¹⁹.

وظلّت مقامات الحريري تلهم الكتّاب، وتوحي إليهم بتدبيح فنون القول وذكر "ابن جهور" وهو أحد رواة الحريري أنّ هذا الأخير كان قد كتب في الأصل مئتي مقامة ثم انتخب منها خمسين مقامة وأتلف البقية ولعلّ أهم ما أضافه هذا الأديب إلى فن المقامات هو الخروج بها عن المضمون الاجتماعي الهزلي إلى المسائل النحوية واللغوية والفقهية والتزام ألون خاصة من الكلام في عمله، وكذا الإلحاح على فكرة الوعظ وهو ما جعل الإقبال عليها واضحا مقارنة بمقامات الهمذاني، لذلك ظلّت محلّ اهتمام وإعجاب الكتّاب والقراء على حدّ السواء²⁰ ولما تحفل به من السّجع والجناس والاستعارات والكنائيات والتشبيهات، وشتى أنواع الصنعة التي تشدّ القارئ وتجذبه إلى هذه التحفة الفنية.

وهي منتظمة في كتاب أدبي خالص ذو طابع قصصي يقوم على السرد تبني على مجموعة من القصص القصيرة التي تباينت موضوعاتها بين الجد والهزل وقد تعدّدت طبيعتها بين ما هو تعليمي مثل "المقامة الفراتية"²¹، كما وتتضمّن ألغازا ومسائل نحوية تتعلق بالإعراب كما هو الحال في "المقامة القطيعية"، وجاءت "المقامة البغدادية" خاتمة لما جاء في الكتاب؛ وهي بمثابة وصية من السروجي الشيخ الذي خبر الدنيا ودوّخ كلّ من لقيه ببلاغة حديثه إلى "الحارث بن همام"، وقد جعلها استغفارا وإقرارا بالذنب لما اقترفه من أباطيل اللّغو، وأضاليل اللّهو وبها ينتهي البعد التعليمي للكتاب الذي كان يهدف إلى إصلاح النفوس وتقويم السلوك.

وبما أنّ موضوع الدّراسة هو البعد الديني في هذه المقامات فإنّه ينبغي الإشارة إلى أنّ عدد المقامات التي جاءت خالصة في هذا الباب قد بلغت عشرا، وهذا لا ينفي عدم امتزاج البعد الديني بجوانب أخرى مثل الألغاز والنحو مما يشير إلى تراسل الأجناس الأدبية في هذا المصنّف البديع²² وهو أمر طبيعي لأنه في الأخير ينبع عن شخصية متدينة أيقنت

أنّ إصلاح الناشئة يكون في ربطهم بجذورهم الإسلامية التي تجلّت في العديد من السلوكيات والطقوس في هذا المصنّف .

المبحث الثاني: تجلّيات البعد الدّيني الإصلاحي في مقامات الحريري

عند مطالعة "مقامات الحريري" فإننا نلاحظ أنّ البعد الديني قد اتّخذ أشكالا متعدّدة تراوحت بين الخطاب الدّيني الذي يعتبر وسيلة استقطاب للجمهور والولوج إلى لا وعيهم، وكذا الشّعائر التي تعتبر الجزء الظاهر من الدين وتؤدي دورا أساسيا في ترسيخ العقيدة وقد ظهرت وفق ما يلي:

المطلب الأول: الخطاب الديني

يتميز الفكر الدّيني الإسلامي بكونه عقيدة واضحة المعالم حتى عند أبسط معتنقيه الذين يؤمنون بوجود قوّة خفيّة جليّة تتعالى عن الأمور الدّنيوية²³، وتكتنفه حرمة لا يجوز انتهاكها لما يبعثه من رهبة واحترام في النّفس تعظيما، وإكبارا لطهارته وسموّه، لأنّه يعترف بوجود خالق واحد يتمثّل في الله (عزّ وجلّ) الذي يمثّل مصدر كل ما هو مقدّس عند المسلمين ثم نبيّه الكريم محمد (صلّى الله عليه وسلّم)، ونقصد هنا النصوص التّقليّة التي يتمّ تفسيرها من طرف العلماء والفقهاء والتّسّاك وسائر رجال الدّين في المساجد، وحلقات الوعظ وتمتدّ القداسة لتشمل بعض المواضيع والأماكن إلى غير ذلك من المقدّسات التي ترتبط عادة بالتّحريم والمنع والتّهيّ باتّباع نظام صارم من المعتقدات والممارسات لرمزيّتها في الذاكرة الجمعيّة²⁴ التي تمنحها سلطة روحية تحوّلها لسنّ الشّرائع .

الفرع الأوّل: الاستعانة بالنّصوص التّقليّة

لعلّ من عظيم تشريف الله للأمة أن خصّها بلغة القرآن الكريم التي يؤدّي بها عباداته، ويلبّي بفضلها شعائره فضلا عمّا خصّها الله به من مرونة وثراء في المفردات بفضل الإسلام الذي منحها قدسيّة، فراح الأدباء ينهلون من ألفاظه ومعانيه ليوشّوا بها أعمالهم الأدبية دراية منهم بقدرته على الإقناع والإبهار، ولم يشدّ الحريري عن أثرابه فطفق يوظفه

تارة بمعانيه وتارة أخرى بمبانيه، بل إننا نجده يستعين بالأحاديث النبوية لأتقن صَدْرَتْ عَنْ خَيْرِ الْوَرَى (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) الَّذِي أَوْتِيَ جَوَامِعَ الْكَلَمِ.

وَقَدْ أَقَرَّ الحَرِيرِيُّ فِي مَقَامَاتِهِ بِتَسْلِيمِ أَحْوَالِهِ لَلَّهِ (عَزَّ وَجَلَّ)، وَإِظْهَارِ الْإِنْكَسَارِ وَالضَّعْفِ بَيْنَ يَدَيْهِ حَالِهِ وَتَسْلِيمِ أَمْرِهِ إِلَيْهِ حَالِ كُلِّ مُسْلِمٍ تَقِيَّ يَقَرُّ بِوَحْدَانِيَةِ الْخَالِقِ وَتَفَرُّدِهِ، وَقَدْ ظَهَرَ ذَلِكَ فِي قَلْبِهِ وَجَوَارِحِهِ، وَمَا مِنْ فُرْصَةٍ إِلَّا وَنَرَاهُ يَجِدُّ تَمَسُّكَهُ بِمَنْهَجِ التَّوْحِيدِ سَبِيلًا لِلنَّجَاةِ لِاسِيَّمَا فِي "المَقَامَةِ الْبَغْدَادِيَّةِ" فَضْلًا عَنْ الْبِسْمَلَةِ وَالْحَمْدَلَةِ فِي بَدَايَةِ خُطْبَةِ الْكِتَابِ: «اللَّهُمَّ إِنَّا نَحْمَدُكَ عَلَى مَا عَلَّمْتَ مِنَ الْبَيَانِ، وَأَلْهَمْتَ مِنَ التَّبْيَانِ (...) وَنَسْتَغْفِرُكَ مِنْ سُوقِ الشَّهَوَاتِ إِلَى سُوقِ الشُّبُهَاتِ»²⁵، وَيُوَاصِلُ الْأَدِيبُ عَلَى هَذَا التَّسْقِ مِنْ الْإِبْتِهَالِ، وَإِظْهَارِ الْإِمْتِنَانِ لِلرَّحْمَنِ لِمَا فِيهِ مِنْ رَاحَةٍ لِلنَّفُوسِ، وَالتَّمَاسَا لِلْبَرَكَةِ وَالتَّيَسِيرِ.

وَاسْتَعَانَ الْكَاتِبُ بِنُصُوصِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَضَمَّنَهَا فِي مَقَامَاتِهِ بِطَرَقٍ ثَلَاثَةٍ؛ فَقَدْ نَجَدَهُ يَذْكُرُ الْآيَةَ الْكَرِيمَةَ كَامِلَةً دُونَ تَنْبِيهِ الْمُتَلَقِّي إِلَى أَنَّ الْقَوْلَ مِنْ كَلَامِ اللَّهِ، وَكَأَنَّهُ يَخْتَبِرُ حَاسَّتَهُ عَلَى التَّمْيِيزِ بَيْنَ كَلَامِ اللَّهِ (عَزَّ وَجَلَّ) وَبَيْنَ كَلَامِ الْبَشَرِ أَوْ رُبَّمَا افْتَرَضَ مُسَبِّقًا أَنَّ الْقَارِئَ قَدْ يَكُونُ حَافِظًا لَشَطْرٍ كَبِيرٍ مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ؛ وَمِثَالُ ذَلِكَ مَا نَجَدَهُ فِي قَوْلِهِ: «وَسَكَتَ الْمَرْجُورُ وَالرَّاجِزُ. أَقْبَلَ عَلَى الْجَمَاعَةِ وَقَالَ: لَقَدْ جِئْتُكُمْ شَيْئًا إِذَا. وَجُرْتُمْ عَنْ الْقَصْدِ»²⁶ فَهُوَ لَمْ يَمَيِّزْ الْآيَةَ الْكَرِيمَةَ ﴿لَقَدْ جِئْتُكُمْ شَيْئًا إِذَا﴾²⁷ عَنْ سَائِرِ الْكَلَامِ، وَقَدْ تَكَرَّرَ ذَلِكَ كَثِيرًا فِي الْمَقَامَاتِ لِاسِيَّمَا تِلْكَ الَّتِي أَخَذَتْ طَابَعًا دِينِيًّا؛ إِذْ لَا تَكَادُ تَخْلُو الْوَاحِدَةَ مِنْ تَضْمِينِ أَوْ اثْنَيْنِ.

وَأَمَّا التَّقْنِيَةُ الثَّانِيَّةُ الَّتِي اعْتَمَدَهَا فِيهِ التَّحْوِيرُ فِي نَصِّ الْآيَةِ بِتَغْيِيرِ حَرْفٍ أَوْ كَلِمَةٍ دُونَ الْإِخْلَالِ فِي الْمَعْنَى؛ كَمَا فِي قَوْلِهِ: «وَإِنْ كُنْتُ أَعْهَدُهُ ذَا رُؤَا وَأُيَّدَ. فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِي. وَقَالَ: أَنَا هُوَ عَلَى اسْتِحَالَةٍ حَالِي وَحَوْلِي»²⁸ وَالتَّضْمِينِ وَاضِحٌ فِي الْعِبَارَةِ، وَقَدْ اقْتَبَسَ الْمَعْنَى مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا﴾²⁹ وَهَذِهِ الْإِشَارَةُ إِلَى الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ زَادَ الْخُطَابَ قُوَّةً وَتَأْثِيرًا كَمَا أَضْفَى عَلَيْهِ لَمْسَةُ جَمَالِيَّةٍ.

أمّا الطّريقة الثالثة فتكون بالإبقاء على معنى الآية الكرّيمة وهو ما اعتمده في ضرب الأمثال وسرد قصص الأمم الغابرة مثلما سنبيّن في موضعه، ولاشكّ أنّ الاعتماد على النصّ القرآني له دور روحيّ في ربط القلوب بخالقها فضلاً عن الأثر الفني إذ زاد من تقوية المعنى وجعله أكثر إيجاء وتأثيراً.

كما أكّد الكاتب اتّباعه سنّة رسولنا الكريم (صلى الله عليه وسلّم)، وبيّن فضله على الأُمّة الإسلاميّة بتأدية الأمانة في خطبة الكتاب كما أثنى على آله الكرام، ثمّ أعقبها بموعظة لتهديب النّفس، وتقويم السّلوک وبيّن فيها تقلّب أحوال الدّهر وتبّه من الأمان له وأكّد أن ليس للإنسان إلّا «التّوسل بمحمد سيّد البشر والشفيع المشقّع في المحشر الذي ختمت به النّبیین وأعلیت درجته في عليّین (...) اللهم فصلّ عليه وعلى آله الهادين وأصحابه الذين شادوا الدّين واجعلنا لهديه وهدیهم متّبعين»³⁰ وغير خفيّ ما تحمله العبارة من نفحة إيمانية وإقرار بفضل النبي الكريم.

كما عمد إلى الأحاديث النبوية الشريفة فطبّق التقنيات ذاتها التي اعتمدها في التّعامل مع النصّ القرآني، من ذلك ما جاء في قوله: «أما تعلمون أنّ لبوس الصّدق ابهى الملابس الفاخرة. وأنّ فضوح الدنيا أهون من فضوح الآخرة؟. وأنّ الدّين إحماض النصيحة»³¹، وهو مأخوذ من قوله صلى الله عليه وسلم: {الدّينُ النَّصِيحَةُ}، قُلْنَا لِمَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَيِّمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَاقِبَتِهِمْ³² ولاشكّ أنّ الهدف من التّضمين تقوية الحجّة، وإثراء المعنى وإضفاء لمسة بلاغيّة.

الفرع الثاني: تشكيل الخطاب

كان للمعجم في مقامات الحريري دورٌ في جعل الخطاب بليغاً - سواء كان شعراً أم نثراً- ومؤدّياً الغاية المرجوّة؛ فقد تميّز بثرائه وتنوّعه وغلبت عليه الألفاظ الدّينية؛ إذ يكفي أن نصرب مثلاً بـ"المقامة البصريّة" نجد ألفاظاً مثل : قبيلة، الأوثان، الرحمن، المساجد، آية، إحسان، التّسك، التّسحير، المصطفى، التوحيد، التّوبة، السيّئات، الزاهد، ركوع،

الأوراد، إخبارات، المتهجّد، التّسبيح إلى غير ذلك ممّا يندرج في حقل "العبادات والطاعات"، وهذا طبعي بالنظر إلى شخصية الكاتب المتديّنة والرّسالة التي سعى إلى إبلاغها في خطابه الإصلاحي.

أمّا أسلوب الكاتب فلم يختلف عن أدباء عصره من أرباب صناعة هذا الفنّ؛ وتميّز عنهم بتدقيق العبارات والأساليب والألفاظ التي يختار أجودها وأدقها وأضبطها، مطبوعة بروح الفكاهة التي غلبت على جلّ المقامات؛ وهو ما كان له الفضل في ذيوها لما وجدوه فيها من متعة بخاصة بعدما وشّاهها بالشّعـر الذي لمع وتألّق في صُحفها، وقد بث فيه الكثير من الوعظ والحكمة.

غير أنّ الاهتمام المفرط باللغة وضع حواجزاً أمام القارئ تحول دون قراءة النصّ يُسر لتجد نفسك أمام غابات ملتقّة تحفّها الصّعوبات والانحرافات على الطّرق الطّبيعية للكتابة³³، وقد استند في ذلك على عبارات قصيرة مسجوعة تحفل بالجرس الموسيقي، وتنهل من القرآن الكريم مثل قوله: "الجواري المنشآت"، و"أدخلوها بسلام" إلى غير ذلك من العبارات التي خدمت السّياق العام للنص، وسارت وفق توجّه صاحبها التربوي والأخلاقي، ويبدو أنّ التّوجّه الدّيني في المقامات كان نوعاً من التنفيس وتعوّضا عمّا عاشه الأدباء من خذلان الحكام الفاسدين في نصرة المسلمين آنذاك، وعموماً فقد خدم الأسلوب المستعمل المعاني التي أراد إبلاغها للمتلقّي والتي هدفت إلى ترسيخ الثقافة الدّينية، وتمكين الناشئة من المهارات اللّغوية³⁴.

المبحث الثاني: استيحاء التراث الدّيني

ويكثر في المقامات السّرد الدّيني التّاريخي بذكر شخصيّات أو مواقف أو أحداث لتقديم الدّروس، وأخذ العبر فيؤدّي بذلك دوراً تربويّاً مهمّاً لاسيّما فيما تعلّق بتصحيح العقائد عبر التّعاطف مع الشّخصيات أو ذمّها في قالب ممتع ولاسيّما النصّ القرآني الذي يجمع أسلوبه بين البلاغة والتنويع في العرض لتثبيت الإيمان.

المطلب الأول: توظيف السرد الديني التاريخي

واكتفى الأديب بالتلميح ولم يورد القصص كاملة ليحفّز الطلاب على معرفة حثيات القصة؛ من ذلك ما جاء في سياق الوصايا من ذلك ما وجهه شيخ لابنه قائلاً: «وَأَيُّ أُوصِيكَ بِمَا لَمْ يُوصِي بِهِ شَيْثُ الْأَنْبَاطِ وَلَا يَعْقُوبُ الْأَسْبَاطِ»³⁵؛ وشيث هو ثالث أبناء "آدم" (عليهما السلام) وأحب أبنائه إليه وهو وصيّهِ وإليه ترجع الأنساب والمهن وأنزلت عليه خمسون صحيفة ، وأما الأنباط أي الأسباط فهم أبناء يعقوب (عليه السلام)، وقد استبعد "الشريشي" - وهو شارح مقامات الحريري - أن يكون هناك تواصل بين "شيث" (عليه السلام) والأنباط لبعد المدة الزمنية التي تتجاوز القرون³⁶، وقد يكون ذكر هذه العبارة على سبيل تأكيد السعي في البرّ والإحسان من جيل إلى آخر، أما وصية يعقوب (عليه الصلاة والسلام) لأبنائه فهي المذكورة في قوله تعالى: ﴿وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾³⁷ لقد كانت الوصية تركز على ضرورة توحيد الله (عز وجل) والاعتصام بدينه الحنيف، ومن الواضح بعد هذا الشرح للعبارة المقتضبة التي أوردناها، والمتضمنة للقصص الديني القيمة البلاغية والتكثيف في المعنى الذي طائل منه؛ فقد اقتصر على الإشارة التاريخية بدون الخوض في التفاصيل تاركا الباب للقارئ كي يجتهد، ويبحث في حثيات القصص الديني. كما تضمّنت المقامات إشارات لقصص الأمم البائدة التي ذكرت في القرآن الكريم وكان هلاكها عقابا من الله عز وجل بسبب تكبرهم وفسادهم في الأرض، وكان ذكرهم في المقامات لضرب المثل بسبب تشابه طباع المخاطب مع طباعهم وللتحذير من المصير المحتمل الذي قد يكون شبيها بمصيرهم مثل ثمود قوم النبي صالح (عليه السلام) الذين عقروا الناقة فأهلكوا بالصيحة والرجفة فتحولوا إلى هياكل متحجرة، كما ضرب الكاتب مثلا بقوم نوح (عليه السلام) الذين أصروا على عبادة الأصنام بالرغم من طول فترة الدعوة التي قاربت المئة سنة لكن دون جدوى وهنا كان موطن التشابه بينهم وبين القوم

الذين خاطبهم السروجي إذ لم يغيروا رأيهم وأصروا على عنادهم بالرغم من إخلاصه في نصّحهم وحرصه على ما فيه فلاحهم.

ولم يقف عند ذكر الأقوام الذين توعّدهم الله فحسب بل استعان بشخصيّات تاريخيّة ذات بعد ديني مثل: زوجة أبي لهب عمّ النبي (صلّى الله عليه وسلّم) وهي المكنّى عنها "بحمّالة الخطب" التي سارت بالنّميّة في قريش لتوغل صدورهم عليه زورا وبهتانا فأنزل الله "سورة المسد" التي توعّدها فيها بالعذاب والخلود في نار جهنّم، وقد كان ذكرها في "المقامة السّنجارية"³⁸ عندما ذكر قصة افتكاك الأمير جارية السّروجي منه عنوة بسبب وشاية جاره المنافق الذي أوغل صدره بأحقّيته في امتلاكها بعدما أثنى على جمالها فكان له ما أراد، وهو ما أحرز أبا زيد، وتسبّب في اعتلاله.

وتكرر في المقامات ذكر الشخصيّات الدّينيّة التي عرفت بصلاحها قد ورد بعضها في القرآن الكريم مثل "لقمان الحكيم" الذي ضرب به المثل في رجاحة العقل، وكان ذكره عند المفاضلة بين صنعتي الحساب والإنشاء³⁹، واعتبر المشتغل في هذه الأخيرة نجّي العظماء، ولقمان الحكمة لأنّها تجعل صاحبها مفوّها وجيها بين الناس، وتلبسه تاج الوقار حتى لو لم يكن من سادة القوم، ومن الشّخصيات الدّينية التي وظّفها في متنه السّردى "الحسين بن علي" (رضي الله عنهما) الذي كان موته رزية على المسلمين فهو سبط النبي (صلّى الله عليه وسلم) وسيدّ شباب أهل الجنّة، وكان ذكره لمواساة شيخ انفطر قلبه بعد قتل ابنه فحاول الانتقام من قاتله .

ولم يعتمد على النّثر وحده مطيّة في سرده الدّيني بل استعان بالشّعْر أيضا لما يضمنه من تعدّد في الدّلالات، واقتصاد في الألفاظ بفضل الانضباط الإيقاعي الذي يقلّل من الحشو الذي لا طائل منه، فضلا عن سهولة حفظه وانطباعه في الدّهن، ومثال ذلك ذكر بعض قصص الأنبياء والرسل (عليهم الصّلاة والسّلام) كما قوله:

وَإِنْ رُدَدْتَ فَمَا فِي الرَّدِّ مَنْقُصَةٌ **** عَلَيْكَ، قَدْ رُدَّ مُوسَى قَبْلُ وَالْخَضِرُ⁴⁰

والبيت يندرج تحت غرض الحكمة، يدعو فيه الشّاعر إلى التّعقل، والتماس الأعذار للنّاس، وعدم الأخذ بظاهر الأمور لأنّ الاستعجال في الحكم قد يولّد الندامة، ويضرب مثلاً بقصة من "سورة الكهف" عن سيدنا موسى مع الخضر (عليهما السّلام) مع أصحاب الجدار عندما التمسّا طعاماً منهم فأبوا أن يضيّفوهما وبالرغم من المعاملة السيئة وبخل أهل القرية فإنّ الخضر (عليه السّلام) قد قام ببناء جدار دون مقابل وهو ما أغضب سيدنا موسى لأنّهم لا يستحقّون الإحسان ليكتشف لاحقاً أنّ هذا البناء كان لحفظ مال يتيمن حتى إذا بلغا أشدهما صار بإمكانهما أخذ كنزهما⁴¹ وفي القصة حكمة إلهية أنّ عين الله لا تنام وأنّ الرزق بيد الخالق هو الذي يدبّره ويهيء من عباده من يسوقه إليك دون علمك، فضلاً عن عبر كثيرة تستقي من هذه القصة القرآنية التي تهدف إلى ربط العبد برّبّه وتجعله يعيد النظر في علاقته مع الله (عزّ وجلّ) بالرغم من كون الكاتب قد اكتفى بالإشارة اللطيفة إلى القصة ولم يفصّل فيها.

ولم يكتف بأسلوب التلميح في سرده بل لجأ إلى تقنية أهم وهي ضرب الأمثال من القرآن الكريم وعياً منه بأهميتها التربوية فضلاً عن تقريب المعاني المجردة إلى المحسوس وهو ما يجعلها أعلق في الذهن، وتجعلنا نتذكّر مباشرة مورد المثل لذلك نجده يركّز على القصص الشهيرة نحو قصّة سيّدنا يوسف (عليه السّلام) مع إخوته الذين مكروا به، وزعموا أنّ الذّئب قد ولما سألهم أبوهم عنه زعموا أنّ الذّئب قد أكله وبما أنّ حبل الكذب قصير فقد انكشفت حقيقتهم واعترفوا بذنبهم لأبيهم، وقد أصبحت هذه القصّة مثلاً يضرب في نفي التهم الباطلة فيقال: فلان برئ براءة الذّئب من دم ابن يعقوب"، وقد وظّفه الحريري في "المقامة الرّحبيّة" على لسان شابّ اتّهم بختان وزورا ثمّ تمّت تبرئته من القاضي في الأخير⁴².

ومن الشّخصيات التي ضرب بها المثل في الكذب لادّعائها الاصطفاء بالنّبوة "أبو ثمامة" المعروف "بمسيّلة الكذاب" الذي ادّعى أنّه شريك الرّسول (صلى الله عليه وسلم)

في الدّعوة، و"سجّاح بنت الحارث"؛ وهي امرأة ادّعت النبوة بعد البعثة، وجاء ذكرهما على لسان السروجي الذي تنازع مع زوجته بين يدي القاضي فاتهم كلّ واحد منهما الآخر بالكذب فقال أبو زيد: «إِنَّهَا وَمُرْسِل الرِّيح لَأَكْذَبُ مِنْ سَجَّاح فَقَالَتْ: بَلْ هُوَ وَمَنْ طَوَّقَ الْحَمَامَةَ وَجَنَحَ النَّعَامَةَ لَأَكْذَبُ مِنْ أَبِي ثُمَامَةَ»⁴³ ونشعر بنبرة التّهمك والسّخرية من "مُسَيِّلَمَة" و"سجّاح" اللّذين خلّدهما التّاريخ في خانة الأشرار فأضحيا رمزاً للمروق في الدّين، وسيلقى كلّ من تسوّل له نفسه ادّعاء ما ليس مصيرهما نفسه.

ولم يكتف بأسلوب التّلميح في سرده بل لجأ إلى تقنية أهم وهي ضرب الأمثال من القرآن الكريم وعيا منه بأهميتها التربوية فضلا عن تقريب المعاني المجردة إلى المحسوس وهو ما يجعلها أعلق في الذهن، وتجعلنا نتذكّر مباشرة مورد المثل لذلك نجده يركّز على القصص الشهيرة نحو قصّة سيّدنا يوسف (عليه السّلام) مع إخوته الذين مكروا به، وزعموا أنّ الذّئب قد ولما سألهم أبوهم عنه زعموا أنّ الذّئب قد أكله وبما أنّ حبل الكذب قصير فقد انكشفت حقيقتهم واعترفوا بذنبهم لأبيهم، وقد أصبحت هذه القصّة مثالا يضرب في نفي التّهم الباطلة فيقال: "فلان برئ براءة الذّئب من دم ابن يعقوب"، وقد وظّفه الحريري في "المقامة الرّحبيّة" على لسان شاب اتّهم بختانا وزورا ثمّ تمّت تبرئته من القاضي في الأخير⁴⁴.

والمطالع للمقامات يلاحظ وجود شخصيّات ذات رمزيّة دينيّة عديدة تقمّصها السّروجي؛ فطورا ظهر في صورة إمام يخطب في النّاس على منبر أحد المساجد يدعوهم إلى تقوى الله ونبذ المعاصي، أو واعظا في حلقة علم يحضّ على خلع حياة التّرف والاكتفاء على البساطة مثلما لمسناه في "المقامة الرّازية" بحيث تظهر شخصيّة "ابن سمعون" الذي نصح الحضور وبصرهم بالطّريقة المثلى، غير أنّه قد يكون منافقا؛ فيبطن عكس ما يظهر مثلما ألفيناه في "المقامة السّمرقنديّة" التي تبيّن أنّ رجل دبن يخطب في

المساجد، ويعظ الناس ثم يتّجه لمعاقرة الخمرة ليلاً⁴⁵، في إشارة إلى تناقض أحوال الناس، وفساد سريرتهم بالرّغم من مظاهريهم التي توحى بالوقار ولاشكّ أنّ الحريري كان يهدف إلى توعية النّاس وتنبههم.

وقد يتّسع مفهوم الشّخصيّة الدّينية فتتعدّى الفرد لتصبح مجموعة من الأفراد الذين تربطهم العقيدة، وكان أهل البصرة نموذجاً للفئة المتدبّنة بالنسبة للمؤلّف، لما أوثر عنهم من دفاع عن حياض الإسلام فأثنى عليهم قائلاً: «يُكْمُ اقْتِدِي فِي التَّعْرِيفِ وَعُرِفَ التَّسْحِيرُ فِي الشَّهْرِ الشَّرِيفِ وَلَكُمْ إِذَا قَرَّتِ الْمَضَاجِعُ وَهَجَعَ الْهَاجِجُ تَذْكَارٌ يُوقِظُ النَّائِمَ (...) وَبِهَذَا صَدَعَ عَنْكُمْ النَّقْلُ وَأَخْبَرَ النَّبِيَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ، مِنْ قَبْلُ. وَبَيَّنَّ أَنَّ دَوِيْكُمْ بِالْأَسْحَارِ كَدَوِي النَّحْلِ فِي الْقِفَارِ»⁴⁶ فأهل هذه المدينة العريقة هم أولو الفضل في اختراع عادة التّسحير في رمضان بتكليف شخص يتولّى إيقاظ النّاس للسّحور حرصاً منهم على أداء هذه الشريعة دون تقصير، تتداعى جنوبهم عن التّوم، لأداء سنّة قيام اللّيل لما فيها من تكفير للذنوب، وتقوية الصلّة بالله (عز وجل)، ويفهم من هذه الفقرة أنّ النبي (صلى الله عليه وسلم) قد أثنى على فضل أهل المدينة في قيام اللّيل لكننا عند البحث في الصحيحين لم نعثر على حديث نبوي شريف بهذا الشّأن.

المطلب الثاني: توظيف المواعظ والحكم

ولم تكن الحكمة هي السبيل الوحيد للإرشاد والتّوجيه في الأشعار التي أوردها الحريري سواء تلك التي كانت من نظمه أم ما اقتبسها من غيره؛ فقد تضمّن المؤلّف عدداً معتبراً من القصائد والمقطوعات التي تنضوي تحت الشعر الديني ولاسيما ما انضوى تحت غرضي الزهد والموعظة، وعادة ما أورد النص نثراً ثم أعاد صياغة معناه شعراً لتأكيد الفائدة، وجعلها ملقاة على لسان التّسكك والزهاد والأئمة الذين تقمص السّروجي شخصياتهم، وقد طغى الوعظ على أغلب المدوّنة بل إنّ العديد من المقامات قد جاءت صرفة في هذا الغرض وقد بلغ عددها عشر مقامات⁴⁷ وهي: الصنعانية، و الحلوانية،

السّاوية، الرّازية، الكرّجية، الرملية، التّفليسية، التّنيسية، الحرامية، والبصرية، وتعتبر كثرة المواعظ في المتن السّردى أمرا طبيعياً بالنظر الى وظيفتها التربوية والأخلاقية وهي الغاية المنشودة من فن المقامات التي ظهرت على يد النّسّاك .

ومن قبيل هذه المواعظ ما نجده في قوله على لسان السّروجي: «أما الحَمَام مِعَادَكَ فَمَا إِعْدَاذُكَ؟ وَبِالْمَشِيبِ إِذَاكَ فَمَا أَعْدَارُكَ؟ وَفِي اللَّحْدِ مَقِيلُكَ فَمَا قِيلُكَ وَإِلَى اللَّهِ مَصِيرُكَ فَمَنْ نَصِيرُكَ؟»⁴⁸ وتمضي المقامة على هذا النّسق في التّحذير من فتنة الدّنيا، وضرورة إعداد العدة للآخرة بالاعتصاف على خشونة العيش والاكتفاء بالقليل اليسير، وقد استعان الأديب بأسلوب الاستفهام الانكاري للتّوبيخ والتّعبير عن الاستغراب من إصرار المرء على التّعلّق بالحياة الدّنيا بالرغم من يقينه بفنائها.

خاتمة:

بعد هذه البحث حول البعد الديني في مقامات الحريري فإننا قد خرجنا بمجموعة من النتائج من بينها:

يعتبر أدب المقامة وثيقة هامة تؤرّخ للعديد من الطّقوس والممارسات الدّينية التي عبّرت عن ثقافة المجتمع العبّاسي وأرّخت للعديد من ممارسات أفرادها اليومية، وجاءت مقامات الحريري قطعة أدبية فنية تميّزت بالتّكرار في أفكار العديد من القصص التي ركّز في الكثير منها على قضيّة بعينها، واقتصر على التّغيير في بعض أحداثها حتى يهيأ للقارئ أنّه أمام قصّة (مقامة) واحدة وانتظمت جميعها تحت هدف واحد تمثّل في توطين النفوس المتلقّي وترسيخ التربية الأخلاقية ، وتهديب النفوس قصد تقويم السّلك اعتمادا على تضمين النصوص النقليّة، والحكم والأقوال المأثورة لتمرير خطابه الإصلاحي وجعله أكثر تأثيرا، كما زواج بين النثر والشعر ببراعة واقتدار، مازجا إيّاه بالسخرية تارة والفكاهة تارة أخرى، وهو ما زاد عمله طرافة وتشويقا.

وتنبّه الكاتب إلى أهميّة المعتقدات والشرائع في حياة المسلمين لقدرة على المحافظة على العلاقة بين الغيب والواقع؛ فضلا عن أهميتها في تغذية النفحة الإلهية بالإبقاء على بعض المعجزات والخوارق التي تبرهن على حضور الفعل الإلهي في حياة البشر، وتضفي حالة من الأنس والطمأنينة فاعتمد عليها بكثافة في مدوّنته مستخدما التلميح بتوظيف الرّمز تارة أو التّصريح اعتمادا على أسلوب الترهيب والترغيب تارة أخرى.

ضمّ المصنّف عددا معتبرا من المواعظ التي سعى من خلالها إلى إصلاح مجتمعه وتقويم سلوك أفرادها وقد أكّد مرارا على ضرورة الإنابة والتوبة عند الزلّل قبل فوات الأوان ولاشكّ أنّ هذا الحرص على إسداء النصّح ينبع من شخصيته المتديّنة وخلفيته الفكرية التي جعلته يؤمن أنّ قيمة الدين لا تقتصر على الإيمان وحسن النية بالخالق بل إنّ مفهوم الدين أوسع من ذلك ليشمل سلوك المرء في معاملات وحياته اليومية وينعكس على طريقة عيشه.

الهوامش:

¹ - ينظر بطرس البستاني، أدباء العرب في الجاهلية و صدر الإسلام "حياتهم، آثارهم، نقد آثارهم"، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة، (د.ط)، 2012م، ص: 328

² - ينظر مسعود علي زيتونة، اللغة والقيم في الأناشيد المدرسية "دراسة وصفية تحليلية في كتاب "اللغة العربية" للسنة الخامسة ابتدائي، مجلة قبس للدراسات الإنسانية والاجتماعية، جامعة الشهيد حمة لخضر، الوادي، المجلد السابع، العدد الأوّل ، جوان 2024م، ص: 301

³ - ينظر شادي مجلي عيسى سكر، فن المقامات في الأدب العربي "بديع الزمان الهمداني نموذجاً"، موقع جامع الكتب الإسلامية، <https://ketabonline.com>، ص06

⁴ - ينظر عبد المالك مرتاض، فن المقامات في الأدب العربي، الدار التونسية للنشر، تونس، ط2، 1988م، ص 565

⁵ - هو أبو الفضل، ولقبه بديع الزمان، واسمه أحمد بن الحسين. ولد سنة 358 هـ في هذان واستقر في خراسان، أمّا لقب بديع الزمان فقد رجح مارون عبود أنّ لقبه جاء من صنعه أو من صنع صاحب البيتمة لكي تتم له السجعة ويقول: "هو بديع الزمان، ومعجزة هذان" وهو فارسي لا شك فيه، كان معلمه الأوّل الأستاذ أبا الحسن أحمد بن فارس، وفي الثانية عشرة غادر بلده. ثمّ اتصل في شبابه بالصاحب بن عباد ، ولزم دار كتبه، فطبع على غرار تلك المدرسة وتأثر أساليبها، وهُجّب ذاكرةً قوية، وحافظه نادرة فاز البديع بأعطيات الملوك والوزراء والأمراء والرؤساء، أمّا آثاره فهي مجموعة رسائل وديوان شعر فضلا عن مقاماته التي

- طبقت شهرتها الآفاق، وتوفي عام 398، ينظر مارون عبود، بديع الزمان الهمداني، مؤسسة هنداوي للنشر والتوزيع، المملكة المتحدة، (د.ط)، 2013م، ص: 19-30
- 6 - ينظر شوقي ضيف، المقامة، دار المعارف، مصر، ط3، 1954م، ص5
- 7 - ينظر شوقي ضيف، المقامة، ص8-9
- 8 - ينظر شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة، (د.ط)، 2001، ج19، ص460
- 9 - ينظر شوقي ضيف، المقامة، ص:46
- 10 - ينظر عمر بن قينة، فن المقامة في الأدب العربي الجزائري، ص: 16
- 11 - ينظر شوقي ضيف، المقامة، ص48
- 12 - ينظر شمس الدين الذهبي، سير أعلام النبلاء، ص460
- 13 - ينظر عمر بن قينة، فن المقامة في الأدب العربي الجزائري، دار المعرفة، الجزائر، (د.ط)، 2007، ص12
- 14 - ينظر مقامات الحريري، دار بيروت للطباعة والنشر، لبنان، (د.ط)، 1987م، ص: 401
- 15 - المصدر نفسه، ص: 309
- 16 - ينظر مقامات الحريري، ص12
- 17 - ينظر شمس الدين الذهبي، سير أعلام النبلاء، ص460
- 18 - ينظر شوقي ضيف، المقامة، ص45
- 19 - ينظر المرجع نفسه، ص45
- 20 - ينظر عبد المالك مرتاض، ص229
- 21 - مقامات الحريري، ص: 314
- 22 - المصدر نفسه، ص: 12
- 23 - ينظر الحاج القديري، مفهوم المقدّس في الأدبان السماوية الوضعية، المجلة العربية للنشر العلمي، مركز تميم للدراسات والأبحاث، الأردن، العدد السابع والعشرون، يناير 2021م، ص583
- 24 - ينظر منوي غباش، المقدس الديني، مجلة متون، كلية الآداب واللغات والعلوم الانسانية و الاجتماعية، جامعة سعيدة، المجلد03، العدد02، 2010، ص33
- 25 - مقامات الحريري، ص: 35
- 26 - مقامات الحريري، ص: 414
- 27 - سورة مريم، الآية:89
- 28 - مقامات الحريري، ص: 177
- 29 - سورة التّمل، الآية: 88
- 30 - مقامات الحريري، ص: 10-11
- 31 - مقامات الحريري، ص: 398

- 32 - العبد بن دقيق، تقي الدين أبو الفتح محمد بن علي بن وهب بن مطيع القشيري، شرح الأربعين النووية، مؤسسة الريان، لبنان، ط6، 2003. ص: 50
 - 33 - ينظر شوقي ضيف، المقامة، ص: 65
 - 34 - ينظر المرجع نفسه، ص56
 - 35 - ينظر مقامات الحريري، ص : 401
 - 36 - ينظر الشريشي أحمد أبو العباس بن عبد المؤمن القيسي، شرح مقامات الحريري، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، (د.ط)، 1992، ص : 445
 - 37 - سورة البقرة، الآية:132
 - 38 - ينظر مقامات الحريري، ص : 150
 - 39 - ينظر المصدر نفسه، ص : 174
 - 40 - المصدر نفسه، ص : 404
 - 41 - ينظر تفسير الطبري "جامع البيان عن تأويل آي القرآن"، الطبري أبو جعفر محمد بن جرير ، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن ، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، ط1، 2001م، ج15، ص:345
 - 42 - ينظر مقامات الحريري، ص : 83
 - 43 - مقامات الحريري، ص : 324
 - 44 - ينظر مقامات الحريري، ص : 83
 - 45 - ينظر المصدر نفسه، ص : 225-226
 - 46 - المصدر نفسه، ص : 414
 - 47 - ينظر المصدر نفسه، ص : 76
 - 48 - المصدر نفسه ، ص : 17
- قائمة المراجع :**
- القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم
- أولاً: الكتب**
- بطرس البستاني، أدباء العرب في الجاهلية وصادر الإسلام (حياتهم، آثارهم، نقد آثارهم)، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة، د.ط، 2012م.
 - الحريري القاسم بن علي، مقامات الحريري، دار بيروت للطباعة والنشر، لبنان، د.ط، 1987م.
 - الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان، سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة، د.ط، 2001م.
 - شادي مجلي عيسى سكر ، كتاب فن المقامات في الأدب العربي: بديع الزمان الهمداني نموذجاً، موقع جامع الكتب الإسلامية، رابط الكتاب في الموقع للتصفح <https://ketabonline.com>
 - الشريشي أحمد أبو العباس بن عبد المؤمن القيسي ، شرح مقامات الحريري ، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، (د.ط)، 1992م.
 - شوقي ضيف ، المقامة، دار المعارف، مصر، ط3، 1954م.

- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، ط1، 2001م.
- عبد المالك مرتاض، فن المقامات في الأدب العربي، الدار التونسية للنشر، تونس، ط2، 1988م.
- عزيز البطوي، جدل الغيب والثقافة في الفكر الأنثروبولوجي الإسلامي المعاصر، جامعة تلمسان، الجزائر، 2015-2016م.
- عمر بن قينة، فن المقامة في الأدب العربي الجزائري، دار المعرفة، د.ط، 2007م.
- القشيري، تقي الدين أبو الفتح محمد بن علي بن وهب بن مطيع، شرح الأربعين النووية، مؤسسة الريان، لبنان، ط6، 2003م.
- مارون عبود، بديع الزمان الهمذاني، مؤسسة هنداي للنشر والتوزيع، المملكة المتحدة، (د.ط)، 2013م

ثانيًا: المقالات العلمية

- الحاج القديري، مفهوم المقدّس في الأديان السماوية والوضعية، المجلة العربية للنشر العلمي، مركز تميم للدراسات والأبحاث، الأردن، العدد السابع والعشرون، 2021م.
- مسعود علي زيتونة، اللغة والقيم في الأناشيد المدرسية "دراسة وصفية تحليلية في كتاب "اللغة العربية" للسنة الخامسة ابتدائي، مجلة قيس للدراسات الإنسانية والاجتماعية، جامعة الشهيد حمه لخضر، الوادي، المجلد السابع، العدد الأول ، جوان 2024م.
- منوي غباش المقدس الديني مجلة متون، كلية الآداب واللغات والعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة سعيدة، الجزائر، المجلد 03، العدد 02، 2010م .